١٥-أن الذين قالوا إن أخبار الآحاد تفيد العلم الظاهري دون الباطن فنقول لعلهم قصدوا علم العمل هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن العلم الظني ليس له ظاهر ولا باطن خصوصاً إذا تعلق بالإيمان القلبي الذي هو ظاهر وواضح لله ﷻ من أن هذا الإنسان قد قبل ورضي وسلم لما قاله النبي ﷺ أو لم يقله ولم يسلم به ولم يرضى به عقله ، والمحدثون هم أعلم الناس وأعلم العلماء بخبر الآحاد وهم الذين محصوا الرجال الرواة وتحققوا من عدلهم والثقة فيهم فقبلوا رواياتهم عن النبي ﷺ وقدموها للأمة فارتضتها الأمة منهم على أن ذلك مما ارتضته الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم .

قال الإمام الغزالي : " اعلم أنا نريد بخبر الواحد في هذا المقام ما لا ينتهي من الأخبار إلى حد التواتر المفيد للعلم ، فما نقله جماعة من خمسة أو ستة مثلا فهو خبر الواحد ، وإذا عرفت هذا فنقول : خبر الواحد لا يفيد العلم وهو معلوم بالضرورة ، فإنا لا نصدق بكل ما نسمع ، ولو صدقنا وقدرنا تعارض خبرين ، فكيف نصدق بالضدين ، وما حكي عن المحدثين من أن ذلك يوجب العلم فلعلهم أرادوا أنه يفيد العلم بوجوب العمل إذ يسمى الظن علماً ، ولهذا قال بعضهم : يورث العلم الظاهر والعلم ليس له ظاهر وباطن وإنما هو الظن . " (١٠٢)

١٦-إذا كان المسلمون متفاوتين في درجات الإيمان فهذا راجع إلى مدى قبولهم وتسليمهم لهذا الدين فهم متفاوتون بحسب القبول والرضا بما يسمعونه من نصوص الشرع فالذي قبل خبر الآحاد واطمأن قلبه بها

(١٠٢) الإمام الغزالي ــ المستصفى ج١ ص١٤٥.

وتقرب إلى الله بهذا القبول والرضا فهذا أمر حسن وتمنى لغيره أن ينال تلك القربة عند الله ﷻ لكن الذي ردها يأبى ذلك وفوق كل هذا يحمل غيره على أن يردها ويحاول تقديم ما استطاع إليه سبيلاً من أدلة وبراهين على عدم حجية أحاديث الآحاد وهذا شأن الإباضية وأمثالها ممن ردوا أحاديث الآحاد .

قال السيد محمد رشيد رضا :-" إن بعض أحاديث الآحاد تكون حجة عند من ثبتت عنده واطمأن قلبه بها ، ولا تكون حجة على غيره يلزم العمل بها ، ولذلك لم يكن الصحابة ــ رضى الله عنهم ــ يكتبون جميع ما سمعوه من الأحاديث ويدعون إليها ، مع دعوتهم إلى اتباع القرآن والعمل به وبالسنة العملية المتبعة المبينة له ، إلا قليلاً من بيان السنة ــ كصحيفة على كرم الله وجهه ــ المشتملة على بعض الأحكام كالدية وفكاك الأسير وتحريم المدينة كمكة ، ولم يرض الإمام مالك من الخليفتين المنصور والرشيد أن يحملا الناس على العمل بكتبه حتى الموطأ ، وإنما يجب العمل بأحاديث الآحاد على من وثق بها رواية ودلالة . (١٠٣)

فهذه أدلة قليلة من كثير في حجية أحاديث الآحاد وقبولها والتسليم والرضا بها مهما كان العقل واقفا أمامها ، وهذا يرجع إلى أن تلك الأحاديث وردت سماعاً عن المعصوم ﷺ وبطرق صحيحة ثبت عدل وثقة رواتها، فلا حجة للإباضية على ما ادعته في رفض تلك الأحاديث ، وأرى أنهم رفضوها لقياسهم العقلي في بعض المسائل العقائدية مثل رؤية الله وعدم الشفاعة لمرتكب الكبيرة وهذا ما سنوضحه بإذن الله في الصفحات الآتية.

(١٠٣) محمد رشيد رضا / تفسير المنار ج١ ص١٣٨.

ثانياً : إنكار الإباضية رؤية الله .

سلكت الإباضية مسلك العقلانيين أهل القدر وخصوصاً في مسألة رؤية الله فقد أعطوها اهتماماً زائداً وقالوا بنفي رؤية الله ﷻ في الدنيا والآخرة، وذهبوا بذلك إلى مخالفة بعض المذاهب الأخرى من سلف الأمة وتابعيها وكثير من أهل النظر والرأي إلى جانب المحدثين والفقهاء الذين قالوا برؤية الله في الآخرة بدليل قول الله تعالى :

﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ..﴾ يونس٢٦ .

لكن الإباضية ترفض ذلك وتمنعه منعاً تاماً سواء في الدنيا أو في الآخرة، وقد احتجوا على ذلك بأدلة نقلية وعقلية تؤيد مدعاهم ، وسوف نذكر أدلتنا وأدلتهم نقلية وعقلية لكي يتضح مدى ما وصلت إلية هذه الفرقة من مزاعم .

فيعرفون الرؤية في كتبهم قائلين :-" الرؤية هي اتصال شعاع الباصرة بالمرئى أو انطباع صورة المرأى في الحدقة ، هذه هي حقيقة الرؤية التي كانت العرب تعرفها من عربيتهم ولا يطلقونها على العلم ونحوه إلا تجوزاً . " (١٠٤)

لكن هناك نقطة هامة هي أن رؤية الله في الآخرة لها مقاييس أخرى لا نعلمها فلماذا نقف أمام تعريف الرؤية ونقيس بعقولنا الله ﷻ كشيء مرئي مرسوماً في حدقة العين ؟ فالأمر أكبر من إدركنا وتصوراتنا ، لكن الإباضية قاست ذلك بالعقل ، وسوف نذكر ذلك من خلال ما قدموه من أدلة .

(١٠٤) السالمي ــ مسند الإمام ربيع طبعة عمان ج١ص١٨٨.

أدلة الإباضية على عدم الرؤية .

أولاً : الأدلة النقلية :- قوله ﷻ : ﴿ لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ .﴾ الأنعام ١٠٣.

قال السالمي : " هذه الآية صريحة في نفي الرؤية عنه ﷻ لوجهين : أحدهما : أنه نفى إدراك الأبصار له تعالى مطلقاً ، فهي نفى إدراك كل بصر له تعالى .

وثانيهما : أنه تعالى ذكر هذه الآية متمدحاً بها كما تمدح بنفي الولد ، وبنفي السِّنَة ، فنفى الإدراك مدح له تعالى لهذه الآية ، وما كان مدحاً له تعالى فلا يصح زواله عند اتصافه بهذه لأن ما كان سبباً للمدح فهو كمال وهذه نقص ولا يصح أن يزول شيء من الكماليات الإلهية . " (١٠٥)

قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي ٠٠ ﴾ الأعراف ١٤٣ .

قال السالمي :" ففيها أجاب الله موسى عليه السلام بانتفاء الرؤية عنه تعالى ، والاستدلال بها على نفي الرؤية من وجهين :

أحدهما : أنه تعالى نفاها بلن وهى لنفي الاستقبال المؤبد ، فيكون نفيها دائماً في الدنيا والآخرة ؛ لأن علماء اللغة أجمعوا على أن " لن " تقتضي النفي والتأبيد .

ثانيهما : أنه تعالى نفاها عن موسى كليمه ، ومتى ما نفاها عن كليمه ، فغيره أحق بنفيها عنه . " (١٠٦)

---

(١٠٥) السالمي ــ بهجة الأنوار ج١ ص٩١ .
(١٠٦) السالمي ــ مشارق الأنوار ص٢٠٣

ثانياً : الأدلة العقلية لنفي الرؤية :-

قدم **السالمي** أدلة على عدم الرؤية واستحالتها حيث اشترط لها تسع شروط يجب توافرها للرائي والمرأي فنزه الله ﷻ وعطل نصوص الرؤية لله ﷻ مستنداً إلى ما توصل إليه عقله من تحديد جهة الشيء المرأي وهو الله ﷻ ، وأيضاً تبعيضه حتى يمكن لحدقة العين مشاهدته ، وفى أول كلامه ذكر أن عدم الرؤية مسألة يجب ألا يكون عليها دليل إذ الأصل فيها المنع ، وعلى الذي يريد إثباتها أن يقدم الأدلة على ذلك ، فقال في كتاب **مشارق الأنوار** : " اعلم أنه لو لم نذكر دليلاً قط على نفي الرؤية واستحالتها لاكتفينا بمقام المنع لأن الأصل عدمها ، وعلى مثبتها الدليل ، وقد عرفت سقوط ما تعلق بها فبقي النفي على أصله ، ومع ذلك فهناك أدلة للاستدلال على نفيها واستحالتها :

أولاً : الأدلة العقلية : فهي تدور حول الشروط التي يجب توافرها للرؤية إذ أن لها تسعة شروط هي : سلامة الحاسة ، وكون الشيء جائز للرؤية ، مع حضوره للحاسة ، ومقابلته للباصرة في جهة من الجهات ، أو كونه في حكم المقابلة ، وعدم غاية الصغر ، فان الصغير جداً لا يدركه البصر قطعاً ، وعدم اللطافة بأن يكون كثيفاً أي ذا لون في الجملة وإن كان ضعيفاً ، وعدم غاية البعد وهو مختلف بحسب وضعها ، وعدم غاية القرب ؛ فإن المبصر إذا التصق بسطح البصر بطل إدراكه بالكلية ، وعدم الحجاب الحائل وهو الجسم الملون المتوسط بينهما ، والأخير أن يكون مضيئاً بذاته أو بغيره .

ثم قال فإذا عرفت هذه الشروط ظهر لك استحالتها على الله تعالى لأنها لا تعقل إلا في جسم ، والله تعالى ليس بجسم ولا عرض ومن لوازم الرؤية

التميز أي التبين للناظر تبين المرأي وشخصه ، والله تعالى يستحيل عليه هذا اللازم وباستحالة اللازم يستحيل الملزوم ، كما أن لزوم الرؤية الكيف، فمعنى الكيفية اللغوية التي هي عبارة عن حال الشيء وصفاته لأنها هي اللائقة بهذا المقام ، لأن من رأى الشيء عرف حاله وصفاته المرئيتين ، وكذلك فإن من لوازم الرؤية تبعض المرأى لأن شعاع الباصرة إما أن يقع على جميع أجزاء المرأي ، فيصبح تبعيضه ضرورة، لأن ما أحيط به متبعض لا محالة ، وإما أن يقع على جزء منه ، وذلك الجزء المرأي هو بعضه ، فيصبح تبعيضه حينئذ بالفعل ، وأيضاً فإن من لوازم الرؤية التميز ، أي تمييز المرئي في جهة وهو من المحال على الله تعالى ، ومن شروط الرؤية أيضاً التقابل أي أن المقابلة شرط لا تصح بدونها ، وهذه المقابلة أيضا أمر غير ممكن في حق ذاته ﷻ . " (١٠٧)

أدلة المثبتين لرؤية الله .

أولاً : الأدلة النقلية :-

تعددت النصوص الشرعية المثبتة لرؤية الله ﷻ سواء من القرآن الكريم أو من السنة المطهرة .(١٠٨)

وسوف أذكر تلك الآيات الدالة على رؤية الله صراحة أو التي ذكرت حجب الله عن المحرومين من هذه النعمة العظمى من الكافرين ، وهذه الآيات هي على النحو الآتي :-

١- قوله ﷻ ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ . إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ . ﴾ القيامة ٢٢- ٢٣.

(١٠٧) السالمي ـ مشارق الأنوار ص٢٠٣.

(١٠٨) ابن قيم الجوزية / فتاوى رسول الله ﷺ مكتبة الاعتصام ص٩ تحت عنوان هل نرى ربنا يوم القيامة متفق عليه ، وأيضا كيف نراه ونحن ملء الأرض وهو واحد ؟ رواه الإمام أحمد .

٢- قوله ﷻ ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ...﴾ يونس ٢٦ .

٣- قوله ﷻ ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ البقرة ٤٦ .

٤- قوله ﷻ ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ . ﴾ الانشقاق٦ .

٥-ومنها قوله ﷻ ﴿ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ . ﴾ المطففين ٢٣ .

٦- وقوله ﷻ ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ . ﴾ المطففين ١٥

* قال ابن كثير في تفسيره : " ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ . ﴾ أي تراه عياناً ، كما رواه البخاري ــ رحمه الله تعالى ــ في صحيحه : " **إنكم سترون ربكم عيانا** ".

وقد ثبت رؤية المؤمنين لله ﷻ في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث لا يمكن دفعها ولا منعها لحديث أبي سعيد وأبى هريرة وهما في الصحيحين أن ناساً قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال : **هل تضارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر ليس دونهما سحاب** ؟ قالوا : لا ، قال : **فإنكم ترون ربكم كذلك** "

وفى الصحيحين عن جرير قال : نظر رسول الله ﷺ إلى القمر ليلة البدر فقال : **إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ولا قبل غروبها فافعلوا** "

وفى الصحيحين عن أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ : **جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى الله عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن "**

وفى إفراد مسلم عن صهيب ﷺ عن النبي ﷺ قال : **إذا دخل أهل الجنة الجنة قال يقول الله تعالى تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار ؟ قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلي ربهم وهى الزيادة ، ثم تلا هذه الآية ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ...﴾** يونس٢٦ .

وفى أفراد مسلم عن جابر في حديثه :"**إن الله يتجلى للمؤمنين أن يضحك**" يعنى في عر صات القيامة .

ففي هذه الأحاديث أن المؤمنين ينظرون إلى ربهم ﷻ في العرصات وفى روضات الجنات .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا عبد الملك بن أبجر، حدثنا يزيد بن أبي فاختة ، عن ابن عمر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :

" **إن أدني أهل الجنة منزلة لينظر في ملكه ألفي سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ينظر إلى أزواجه وخدمه ، وإن أفضلهم منزلة لينظر إلى وجه الله مرتين** " رواه الترمذي عن عبد بن حميد عن شبابة عن إسرائيل عن نوير قال : سمعت ابن عمر فذكره .. ، قال : ورواه عبد الملك بن أبجر عن نوير عن مجاهد عن ابن عمر ، وكذلك رواه الثوري عن نوير عن مجاهد عن ابن عمر ولم يرفعه .

ولولا خشية الإطالة لأوردنا الأحاديث بطرقها وألفاظها من الصحاح والحسان والمسانيد والسنن ، ولكن ذكرنا ذلك مفرقاً في مواضع من هذا التفسير وبالله التوفيق ، وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام ، وهداة الأنام ، ومن تأويل ذلك المراد بألى ــ مفرد الآلاء ــ وهى النعم كما قال الثوري عن منصور عن مجاهد ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ .﴾ قال تنتظر الثواب من ربها، رواه ابن جرير من غير وجه عن مجاهد ، وكذا قال أبو صالح أيضاً فقد أبعد هذا الناظر النجعة وأبطل فيما ذهب إليه ، وأين هو من قوله تعالى ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ .﴾ المطففين ١٥ .

قال الشافعي رحمه الله تعالى : ما حجب الفجار إلا وقد علم أن الأبرار يرونه عز وجل ، ثم قد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ بما دل عليه سياق الآية الكريمة ، وهى قوله تعالى ﴿ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ .﴾ .

قال ابن جرير حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري حدثنا ابن المبارك عن الحسن ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ . ﴾ قال حسنة ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ .﴾ قال تنظر إلى الخالق وحق لها أن تتضرع وهى تنظر إلى الخالق ." (١٠٩)

وقد تضمن هذا النص معظم آيات إثبات الرؤية لله ﷻ كما عضدها ابن كثير ﷺ ببعض أحاديث النبي ﷺ المثبتة لذلك ، وهى كما نرى أحاديث صحيحة متفق عليها .

(١٠٩) ابن كثير ــ تفسير ابن كثير ج٤ ص٤٥٠.

ثانياً : الأدلة العقلية للمثبتين .

تعددت أدلة المثبتين على رؤية الله ﷻ سواء نقلية ــ كما سبق ذكرها ــ وأيضاً عقلية كما سيتضح في السطور الآتية ، وقد استندوا بالعقل من خلال ما استدلوا به من نصوص الشرع على رؤية الله فمن ذلك :-

قول أبي منصور الماتريدي رحمه الله : " القول في رؤية الرب ﷻ عندنا لازم وحق من غير إدراك ولا تفسير :

فأما الدليل الأول على الرؤية فقوله تعالى :﴿ **لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ .**﴾ ، ولو كان لا يُرى لم يكن لنفي الإدراك حكمة ؛ إذ يدرك غيره بغير رؤية ، فموضع نفي الإدراك ــ وغيره من الخلق لا يدرك إلا بالرؤية ــ لا معنى له ، وبالله التوفيق .

والثاني:قول موسى عليه السلام :﴿ **قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ...** ﴾الأعراف ١٤٣.

ولو كان لا يجوز الرؤية لكان ذلك السؤال منه جهل بربه ومن يجهله لا يحتمل أن يكون موضعا لرسالته أميناً على وحيه .

وبعد فإن الله تعالى لم ينهه ولا أيأسه ، وبدون ذلك نهى نوحاً وعاتب آدم وغيرهما من الرسل ، وذلك لو كان لا يجوز يبلغ الكفر .

ثم قال في موضع آخر : ولا نقول بالإدراك لقوله : لا تدركه الأبصار ، فقد امتدح به بنفي الإدراك لا بنفي الرؤية وهو كقوله : ﴿ **ولا يحيطون به علما** ﴾ كان في ذلك إيجاب العلم ونفى الإحاطة ، فمثله في حق الإدراك وبالله التوفيق .

وأيضا إن الإدراك إنما هو الإحاطة بالمحدود ، والله يتعالى عن وصف الحد إذ هو نهاية وتقصير عما هو أعلى منه ، على أنه واحدي الذات ،

والحد وصف المتصل الأجزاء حتى ينقضي ، مع إحالة القول بـالحد ، أو كان ولا ما يحد أو به يحد فهو على ذلك لا يتغير ، على أنه لكل شئ حداً يدرك بسبيله نحو الطعم واللون والذوق والرائحة وغير ذلك من حـــدود خاصية الأشياء ، جعل الله لكل شيء من ذلك وجهاً يدرك به ويحاط بـــه حتى العقول والأعراض ، فأخبر الله أنه ليس بذي حدود وجـــهات هـــي طرف إدراكه بالأسباب الموضوعة لتلك الجهات . (١١٠)

فهذه أدلة عقلية صيغت في أدلة شرعية وعلى كل لبيب الغوص في دلالة تلك النصوص الشرعية ليخرج الدلالات العقلية الواضحة المثبتة لرؤيـــة الله ، فالله ﷻ لا يستطيع أي إنسان أن يدركه لكن بقـــدرة الله ومشـــيئته تحصل الرؤية ، مثل رؤية إنسان للقمر أو للشمس فـــهل يُقـــال إن هـــذا الإنسان قد أدرك القمر بصخوره أو أدرك الشمس بحرارتها بالتـــأكيد لا ، وأيضا رؤية إنسان لمبنى نقول إنه رآه ولا نقول أنه أدركه أي وعى كـــل ما فيه من أساس وغرف وطرق إلى آخره .

فدلالة آية سورة الأنعام واضحة لكل لبيب فطن يثبـــت الرؤيـــة وينفـــى الإدراك .

قال أبو الحسن الأشعري : " إن قول الله ﷻ ﴿لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَـــارُ ﴾ أراد بها لا تدرك غيره الأبصار ولم يرد أنها لا تدركه ؟ وهـــذا مـــا لا يقدرون على الفرق فيه ، ومما يدل على أن الله تعالى يُـــرى بالأبصـــار قول موسى عليه السلام ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ ولا يجوز أن يكون موســـى ــ صلوات الله عليه وسلامه ــ الذي قد ألبسه الله تعالى جلباب النبيين ،

(١١٠) أبو منصور الماتريدي ــ كتاب التوحيد ــ تحقيق /فتح الله خليـــف ــ طبعـــة مكتبـــة الجامعات المصرية ص٧٧-٨١ .

وعصمه بما عصم به المرسلين ، قد سأل ربه ما يستحيل عليه، وإذا لم يجز ذلك على موسى عليه السلام فقد علمنا أنه لم يسأل ربه مستحيلا ، وأن الرؤية جائزة على ربنا ﷻ .

ولو كانت الرؤية مستحيلة على ربنا ﷻ كما زعمت المعتزلة ولم يعلم ذلك موسى عليه السلام ، وعلموا هم لكانوا ــ على قولهم ــ أعلم بالله من موسى عليه السلام وهذا ما لا يدعيه مسلم . "(١١١)

ويضاف إلى ما سبق من أدلة دليل آخر وهو :-

أن الله تعالى موجود ، وكل موجود يصح أن يرى ، فينتج أن الله يصح أن يرى ، هذا قياس من الشكل الأول مركب من مقدمتين : صغرى وكبرى ، أما دليل الصغرى القائلة الله موجود فظاهر لا شك فيه ، وأما دليل الكبرى وكل موجود يصح أن يرى فدليلها ، إذا رأينا الأشياء مشتركة في الرؤية ، ولا علة لاشتراكها في الرؤية إلا لكون هذه الأشياء موجودة ، فعلى ذلك فإن الوجود هو الوصف المشترك بين جميع الموجودات وهو مصحح لرؤية الحوادث ، وبذلك تصح رؤية البارئ."(١١٢)

هذا وإن هناك أدلة كثيرة عقلية على رؤية الباري ﷻ من أراد الاطلاع عليها فعليه بالمطولات . (١١٣) التي ذكرت أن رؤية الله ممكنة عقلا

(١١١) أبو الحسن الأشعري ــ الإبانة عن أصول الديانة ــ حققه بشير محمد عيون ــ مكتبة دار البيان ص٦٠ .

(١١٢) الجرجاني ــ شرح المواقف في علم الكلام ــ طبعة دار الحلبي ص١٨٨.

(١١٣) فخر الدين الرازي ــ محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين ــ تقديم طه عبد الرؤوف سعد ــ طبعة المكتبات الأزهرية ص١٩١ ، وانظر عبد الرحمن الأصفهاني ــ شرح مطالع الأنظار على طوالع الأنوار ط ١ بمصر سنة ١٣٣٢ هـ ص١٨٥ وانظر فخر الدين الرازي ــ أصول الدين المكتبات الأزهرية ص٧٠ .

رغم ما قدمته الإباضية من أدلة تجعل رؤية الله مستحيلة ، لكنهم قاسوا ذلك بعقولهم وتعاملوا مع نصوص القرآن الصريحة بالتأويل ، ومع نصوص السنة المطهرة بردها بحجة أنها وردت بطرق الآحاد ، وقد سبق ذكر تهافت رأيهم هذا في موضعه .

أما سلفنا الصالح ــ ومن سار على دربهم ــ فقد التزموا واعتقدوا بما تنص عليه نصوص الشرع من إثبات رؤية الله ﷻ .

ثالثا : إنكار الإباضية الشفاعة لمرتكب الكبيرة .

زعمت الإباضية أنهم بنوا مذهبهم على أسس سليمة ومنهج قويم استمدوه من آيات القرآن الكريم والسنة المطهرة من أن مرتكب الكبيرة كافر مستحق الخلود في النار ، مستدلين على ذلك بفهمهم المريض لبعض آيات القرآن الكريم وبعض أحاديث السنة ، ومحتجين بعقولهم من أن مرتكب الكبيرة لا شفاعة له ، وقالوا لو فرضنا أن الشفاعة جائزة لأهل النار إذن لا داعي لأن يصلي الناس الفروض أو يجتنبوا المحرمات .

ونقول : إن الأمر بخلاف ذلك ، وما يذكرون فيه نظر ، فقد استدلوا ببعض آيات القرآن الكريم منها :-

١- قوله ﷻ ﴿ **ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين** .﴾ النساء ١٤ .

٢- قوله ﷻ ﴿ **بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** .﴾ البقرة ٨١ .

٣- وقوله ﷻ ﴿ **ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا** .﴾ الجن ٢٣ .

ومن بعض الأحاديث التي استدلوا لها مثل قول النبي ﷺ :

١- لا تنال شفاعتي أهل الكبائر من أمتي .

٢- ليست الشفاعة لأهل الكبائر من أمتي .

٣- من مات على كبيرة من الكبائر ولم يتب فلا تحق له الشفاعة .

ولكي نرد على شبههم في ذلك نذكر ما ذكروه في هذا الشأن من تعليق على الآيات السابقة :-

١- **قال السالمي** : " من الأدلة على خلود صاحب الكبيرة في النار ــ إن مات على غير توبة ــ قوله ﷻ ﴿ **وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً .** ﴾ الجن ٢٣ .

وأعترض بأن المراد من عصى الله ورسوله في التوحيد ، وأجيب بأن اللفظ عام ولا مخصص .

وقوله ﷻ ﴿ **بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ .** ﴾ البقرة٨١ .

وأعترض بأن لا نسلم أن صاحب الكبيرة أحاطت به خطيئته من كل جانب ؛ لأن له حسنات لا يُظلم إياها ، ويجاب بأنه أحبط حسناته بإصراره على الكبيرة فلا يظلم شيئاً ؛ لأن الله قد أخبر أنه ﴿ **يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ** ﴾ المائدة ٢٧.(١١٤)

ذكروا تعليقاً مستنداً إلى أقوال النبي ﷺ في ذكر شأن ذلك حيث قالوا :

ومن السنة قوله ﷺ لبني عبد المطلب :

(إن الله أمرني أن أنذركم ــ أي بقوله : وأنذر عشيرتك الأقربين ــ ألا إني لا أغنى عنكم من الله شيئاً ، ألا وإن أولئك منكم المتقون)

(١١٤) السالمي مشارق الأنوار ص

فإذا تركنا القول بالشفاعة لأهل الكبائر لهذه الأدلة الصحيحة من الكتاب والسنة ؛ لأنه ﷺ أمرنا بإتباعه وهو يقول : **إذا جاءكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله ، فما وافقه فهو عني ، وما خالفه فليس مني)**

فرأينا القول بالشفاعة للذين ماتوا على غير توبة مخالفاً للكتاب والأخبار الصحيحة ؛ لأن الإتيان بكلمة التوحيد لا يغني عن القيام بالواجبات والاجتناب عن المنهيات ، فالحق ﷻ يقول : ﴿ **وَالْعَصْرِ . إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ .**﴾ العصر ١-٣.

والنبي ﷺ يقول: " **الإيمان والعمل أخوان شريكان في قرن ، لا يقبل الله أحدهما إلا بصاحبه** " (١١٥)

ولكي يمكننا الرد على مزاعم الإباضية في شأن عدم الشفاعة لمرتكب الكبيرة يجب أن نعرّف أولاً الشفاعة بأنها : الوسيلة والطلب ، هذا في اللغة ، وسؤال الخير من الغير للغير وهذا في العرف .

وطلب تعجيل دخول الجنة وزيادة درجة من الله لعبادة المؤمنين وإخراج بعض ممن دخلوا النار وفى قلوبهم ذرة من إيمان أو وزن شعيرة أو بوة من إيمان ، هذا ويعد تعريف الشرع للشفاعة .

أما بالنسبة لما ذكروه من آيات قرآنية احتجوا بها على خلود مرتكب الكبيرة في النار فنقول : إن ما استدلوا به من أن معصية الله تدخل نار جهنم خالداً فيها ، فقد استدلوا بقوله تعالى في بعض المواضع من القرآن الكريم من أن معصية الله تدخل نار جهنم خالداً فيها فيكون بذلك كافراً ، كما ورد في آية النساء ، والجن ، والبقرة ، السابق ذكرهم .

(١١٥) على بن محمد المنذري ــ كتاب الصراط المستقيم ص١١.

فحسب الفهم السليم الجامع للأدلة فقد قررنا انقسام المعصية إلى شرك وما دون الشرك .

وأن الخلود في النار الناشئ عن الكفر لا يكون إلا بارتكاب عمل من أعمال الشرك أما بقية الذنوب فهي لا توجب الخلود في النار بالتالي ــ وهى الصغائر والكبائر ــ وتكون المعصية المذكورة في الآيات هي المعصية بمعنى المحادة والكفر، وليست بمعنى الذنب الذي هو دون الشرك ، وهذا هو فهم جمهور السلف الذي يجمع الأطراف المستدل بها في الموضوع :

يقول الطبري في آية النساء: "فإن قال قائل : أو يخلد في النار مَنْ عصى الله ورسوله في قسمة المواريث ؟ قيل : نعم ،إذا جمع إلى معصيتهما في ذلك شكاً في أن الله فرض عليه ما فرض على عباده هاتين الآيتين ، أو علم ذلك فحاد الله ورسوله في أمرهما .

وفى إشكالهم هذه الآية فهو من أهل النار ، لأنه باستنكاره حكم الله في تلك يصير بالله كافراً ومن ملة الإسلام خارجاً . " (١١٦)

ويقول القرطبي :".. والعصيان إن أريد به الكفر فالخلود على بابه ، وإن أريد به الكبائر وتجاوز أوامر الله تعالى فالخلود مستعار لمدة ما ، كما تقول: خلد الله ملكه ، وقال زهير: ولا خالداً إلا الجبال الرواسيا " (١١٧)

فيصح في اللغة استعمال كلمة الخلود للتعبير عن طول المدة دون ظاهر اللفظ الذي هو عدم الخروج مطلقا ، والقرآن عربي نزل بلسان عربي مبين فيصح ــ بل يجب ــ فهمه بأسلوب خطاب العرب ، لا حسب

(١١٦) الطبري ــ تفسير الطبري ج٤ ص٢٩١مطبعة الحلبي .
(١١٧) القرطبي ــ تفسير القرطبي ط دار الكتب العربية ج٥ص٨٢.

ظواهر دلالة اللغة ، لما يحدث ذلك من تناقض في المفـــاهيم الشـــرعية وتضارب في آياته لا داعي لها.

أما عن آية البقرة:﴿ بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ البقرة ٨١.

فقد كان إجماع السلف على أنها في المشرك ، فالسيئة هنا هي الشـــرك ، وبهذا القول قال أبو وائل ومجاهد وقتادة والسدي وعطاء وابـــن جريـــج والربيع ، ونقله الطبري وابن كثير والقرطبي وغيرهم.

أما إحاطة الخطيئة فهي الذنوب الجمة التي يفعلها المشرك فـــي حياتـــه فتصبح محيطة به لا مهرب له منها .

قال الطبري : " فتأويل الآية إذاً : مَنْ أشرك بالله واقترف ذنوبـــاً جمـــة فمات عليها قبل الإنابة والتوبة فأولئك أصحاب النار هم فيـــها خـــالدون أبداً". (١١٨)

ونقل هذا القول عن ابن عباس وقتادة والأعمش كذلك .

وقال القرطبي :" قوله تعالى (سيئة) السيئة الشرك ، وكذلك قال الحســـن وقتادة ، قالا: والخطيئة الكبيرة .

ولما قال تعالى :﴿ بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ .﴾ دل على أن المعلق على شرطين لا يتم بأقلهما ، ومثله قوله تعالى :﴿ إن الذيـــن قالوا ربنا ثم استقاموا .﴾ وقوله ﷺ لسفيان بن عبد الله الثقفي وقد قـــال له: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك .

قال ﷺ : قل آمنت بالله ثم استقم .

فدل ذلك على أن ارتكاب المعاصي دون الشرك لا يلزم منها الخلود فـــي النار الناشئ عن الكفر .

(١١٨) الطبري ــ تفسير الطبري ج١ ص٣٨٦ .

أما عن قوله تعالى في النساء أن جزاء القاتل المتعمد هو نار جهنم خالداً فيها فإن هذا يجب أن يُجمع مع قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا .. ﴾ الحجرات ٩.

فصح أن القتال يكون بين مؤمنين دون كفر أي منهم ، كما أن الآية لم تنص على كفر القاتل العمد ، وإنما هي نص في دخول النار خالداً فيها ، وهذا تقرير من الله ﷻ على استحقاقه لذلك ، و إن لم يكن فيه إثبات الوقوع ذلك ،لإمكان تخلف الوعيد حسب قاعدة أهل السنة في ذلك ، من أن تخلف الوعيد من القادر صفة كمال له بعكس تخلف الوعد منه ، هذا وجه ، والوجه الآخر أنه يصح أن يكون الخلود هنا بمعنى طول المكث أو الأمد الطويل كما سبق أن نقلنا عن القرطبي ، وإنما أخذنا بهذا الوجه وأجرينا هذا المفهوم على الآية حتى لا ندفع أحاديث كثيرة سبقت من قبل من عدم كفر مرتكب المعصية دون الشرك عامة :

منها ما ورد في الطبري عن ابن عمر قال : كنا معشر أصحاب النبي ﷺ لا نشك في قاتل النفس ، وأكل مال اليتيم ، وشاهد الزور وقاطع الرحم حتى نزلت : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ ..﴾ النساء٤٨ . فأمسكنا على الشهادة . (١١٩)

فهؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ فهموا أن الشرك هو خلاف هذه الأمور كلها ، ولا يقال المقصود هو القتل الخطأ مرفوع أصلاً عن المكلفين بشرط التوبة بعد العلم بالخطأ قال تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ .﴾ الأنعام ٥٤ .

(١١٩) الطبري ــ تفسير الطبري ج٥ ص١٢٦.

وقد ورد عن ابن عباس آثار على أنه لا توبة للقاتل ؛ إلا أن ذلك فتوى منه لرجل بعينه خوفاً من قتله لآخر **كما ورد في القرطبي** ، قال : أخبرنا أبو مالك الأشجعي عن سعد بن عبيده قال : جاء رجل إلى ابن عباس فقال : ألمن قتل مؤمناً متعمداً توبة ؟ قال : لا إلا النار ، قال : فلما ذهب قال جلساؤه : أهكذا كنت تفتينا ؟ كنت تفتينا أن لمن قتل توبة مقبولة ، قال : إني لأحسبه رجلاً مغضباً يريد أن يقتل مؤمناً .

قال : فبعثوا في إثره فوجدوه كذلك .

هذا مذهب أهل السنة وهو الصحيح ، وأن هذه الآية مخصوصة ، ودليل التخصيص آيات وأخبار . (١٢٠)

فهذه الآية نزلت في **مقيس بن ضبابة** وهو قد قتل مؤمناً متعمداً ثم ارتد بعدها كافراً ، وقد ورد الحديث الشريف عن عبادة بن الصامت يثبت أن الزنى والسرقة وقتل النفس هي غير الشرك بالله ، قال ﷺ : " **تبايعوني على ألا تشركوا بالله شيئاً ، ولا تسرقوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب شيئاً من ذلك فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله عليه فأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له** . " (١٢١)

ولا يُقال هنا : إن الذنوب الواردة هي من الشرك ، وهي بيان له بعد ذكره ؛ لأن معنى هذا أن قوله ﷺ : (**من أصاب من ذلك شيئا فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له**) يعني أن من أشرك بالله فقتل ردة كعقوبة في الدنيا كان كفارة له عن الشرك ، وهذا خلاف المعلوم بالضرورة من دين

(١٢٠) القرطبي ــ تفسير القرطبي ج٥ ص٣٣٣.
(١٢١) عبد الله الشرقاوي ــ فتح المبدي بشرح مختصر الزبيدي ــ طبعة الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية ص٧.

الإسلام أن قتل المشرك ردة في الدنيا لا يغنى عن تخليده في النار أبداً كما نقل عن ابن عباس أن قوله (متعمداً) يعنى مستحلاً للقتل فهذا يؤول إلى الكفر .

قوله ﷺ : (**لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة**) (١٢٢)

فهذا نص في أن قاتل النفس ليس كتارك دينه بل هو بمنزلة الزاني المحصن من إحلال الدم لا يستلزم الكفر بل يكون في حد فقط كما هو معلوم .

وقد جعلها رسول الله ﷺ في الحديث " ثلاث " مختلفة وليس واحدة عامة وبيان لها ، ثم إن العام يرد أولاً ثم يخصص منه بعدها بأن يذكر تارك دينه أولاً ، فثبت أن تارك دينه ليس كقاتل النفس ولا الزاني المحصن .

أما ما استدلت به الإباضية من أحاديث نبوية تنكر : أن الشفاعة ليست لأهل الكبائر من أمة سيدنا محمد ﷺ فهذه أحاديث موضوعة ، وعلى فرض صحتها فإنها تحمل على الذي ارتكب كبيرة ثم ارتد كفراً وشركاً، أو أنه استحل كبيرته وأنكر حرمتها وأصر عليها .

قال محمد الأمير : حديث لا تنال شفاعتي أهل الكبائر من أمتي موضوع باتفاق وبتقدير صحته هو محمول على من ارتد منهم ، وغيره : أي وجب أن يعتقد أن غيره ﷺ من مرتضى الأخيار كالأنبياء والمرسلين والملائكة والصحابة والشهداء والأولياء يشفع على قد مقامه عند الله في أرباب الكبائر ، وفى الأخبار الدالة على ذلك مما أجمع عليه أهل السنة ودخل في الغير الشافع الله ﷻ فإنه يشفع فيمن قال لا إله إلا الله محمد

(١٢٢) متفق عليه .